نسيبة الأنصارية
المقاتلة الشجاعة

قليلات من النساء من لهم هذه الميزة الخارقة!

قليلات من النساء من لهن المقدرة على حمل السلاح، وخوض المعارك، والقتال في الصفوف، جنباً إلى جنب مع الرجال.

هي واحدة من هؤلاء القليلات.

إنها نسيبة بين كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية، كانت صحابية جليلة، واشتهرت بأنها مجاهدة عظيمة، وتميزت بالصلاح والدين والنسك والاعتماد على النفس.

أسلمت مع المسلمين الأوائل، وفي "غزوة أحد" أصرّت أن تخرج مع زوجها زيد بن عاصم وابنيها حبيب وعبد الله، الذين خرجوا جميعاً مجاهدين في سبيل الله مع رسوله الكريم: لكي تساعد في الصفوف الخلفية، تداوي الجرحى أو تسقي المجاهدين، ولكن لما اشتد وطيس المعركة، وحمي القتال، ورأت الكفار وقد استأسدوا وأوقعوا الهزيمة في صفوف المسلمين، تركت السقاية والتمريض

والصفوف الخلفية، واندفعت شاهرة السيف تتخطى الصفوف باحثة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما وجدته: وقفت منحازة تقتل بسيفها الكفار الذين تكتّلوا يسعون للقضاء على النبي عليه الصلاة والسلام، ولما برز من بين الصفوف أحد الكفار، وهو ابن قميئة يصيح "دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا"، تصدت له نسيبة في الوقت الذي اعترض طريقه مصعب بن عمير وآخرون، وراحت تقاتل في جرأة وشجاعة، حتى أصيبت بعدة طعنات، ومع ذلك واصلت الجهاد، وظلت في قلب المعركة: تقاتل بالسيف أو ترمي بالقوس.

وقد حدثت نسيبة عن واقعة "أحد" فقالت: انكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما بقي ما يتممون عشرة وأنا وأبنائي وزوجي بين يديه، نذب عنه، وندافع، ورآني صلى الله عليه وسلم وليس معي ترس، فلمح رجلاً منسحباً من المعركة ومعه ترس، فقال له: ألق الترس إلى من يقاتل، فألقى الرجل ترسه إليَّ فأخذته، ورحت أذود به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد جُرح ابن نسيبة أثناء المعركة جرحاً نافذاً، وأخذ الدم يسيل منه، وكانت أمه على مقربة منه، لكنها لفرط انهماكها في القتال والطعان، لم تنتبه إلى جرح ابنها، حتى سمعت صوت النبي عليه الصلاة والسلام ينادي على ابنها صائحاً له "اعصب جرحك"، فلما

سمعت ذلك تنبهت إلى ابنها، وأخذته وأحضرت له ما كان معها من معدات لإسعاف الجرحى، فطهرت جرحه وعصبته، ثم قالت لـــه: والآن انهض وحارب. وقد كان رسول الله صلى الله عليـــه وســلم يرقبها وهي تفعل ذلك، فقال: ومن يطيق ما تطيق أم عمارة.

وكانت تُلقّب بهذا الاسم.

ثم أقبل الرجل الذي أصاب ابنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لها: هذا ضارب ابنك. فانقضت عليه نسيبة تطلب ثأر ابنـــها، فضربت ساقه فوقع، وأجهز عليه آخرون حتى مات، وفي روايـــة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "لمقام نســيبة اليــوم خير من مقام فلان وفلان".

وقد جُرحت نسيبة في معركة "أحد" ثلاثة عشر جرحـــاً، وكـــان النبي عليه الصلاة والسلام جزعاً عليها، فلما انتهت المعركة أرســل فور وصوله إلى بيته عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها ويطمئـــن عليها، فلما رجع يقول إنها بخير تداوي جرحها: سُرّ النبي صلى الله عليه وسلم، وهدأ باله.

وقد حاربت نسيبة بعد ذلك في جيوش المسلمين بعد "أحد"، ولمـــا مات الرسول الكريم، وتولى أبو بكر الخلافة وحدثت الردة، جـــاءت إلى أبي كر الصديق: تستأذنه في الخروج محاربة مع الجيش الـــذي نظمه خالد بن الوليد لقتال مُسيلمة والذين معه، فقال لها: قد عرفنـــا

جزاءك في الحرب، فاخرجي على اسم الله، وأوصى خالد بن الوليد بها، وقد حاربت نسيبة مع المسلمين ضد جيش مسيلمة بضراوة وشجاعة، وجاهدت خير جهاد، وظلت تحمل سيفها وتسدد الطعنات وتحصد الأرواح، دون أن تبالي بجرح يصيبها، وكانت مضرب الأمثال في براعتها القتالية وثباتها في المعركة، وبعد أن انتهت الحرب فوجئ الجميع أنها كانت تقاتل وهي مجروحة أحد عشر جرحاً، وفي هذه الحرب مات ولدها شهيداً، وقطعت يدها وهي تجاهد.

بعد أن عادت نسيبة إلى بيتها، بادر أبو بكر الصديق بزيارتها والسؤال عنها، فقد كانت لها مكانة عظيمة، وكانت موضع احترام تقدير من قادة المسلمين على الوجه الأخص: لما عاينوه بأنفسهم من بسالتها وإقدامها، فقد كانت فخراً لكل مسلم.

إن مهارتها كمحاربة صفة نادرة في النساء، إلا أنها تفوقت في هذه الموهبة على كثير من الرجال، حتى لنستطيع أن نقول إنها حازت مجداً بطولياً لا يناله إلا أقوى الرجال، بالإضافة إلى ذلك: فقد تفردت نسيبة بقدرتها على التحمل والتغلب على الآلام، وقد كان خالد بن الوليد ــ القائد العظيم ــ دائم السؤال عنها، يزورها كثيراً ويتودد إليها، ويُكنّ لها في داخله كل مشاعر التكريم والتعظيم.

وقد روت نسيبة ــ الملقبة بأم عمارة ــ عن النبـــي صلـــى الله عليه وسلم وروى عنها ابنها، وروى عنها كذلك الحارث بن عبـــد الله بن كعب وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم.

كذلك روى لها الترمزي والنسائي وابن ماجه، وقد روى عكرمة عن نسيبة: أنها ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقـــالت له: ما أرى كل شيء إلا للرجال، ما أرى النساء يذكـــرن. فـــنزلت الآية: "إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات".. الخ الآية.

obeikandl.com